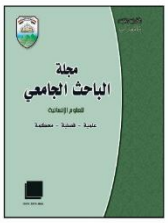

جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي
ISSN: 2079-5068 ISSN(online): 2663-3930

التمكين للأمة المسلمة عوائق ومنطلقات في ضوء الفكر الإسلامي

عبدالرحمن علي إسماعيل الحاج

قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن.

الكلمات المفتاحية

التمكين، العوائق، المنطلقات، الأمة المسلمة، الفكر الإسلامي

الملخص

يتناول البحث الحديث عن مفهوم التمكين، وأهميته، وصوره المتعددة، والأهداف التي يرجى تحقيقها من ورائه.

كما يتناول الحديث عن إمكانية التمكين للأمة المسلمة، استناداً إلى النصوص الشرعية والسنن الإلهية والتاريخ الإسلامي، وعلى أساس التمكين متحقق للأمة في ضوء تلك البراهين، في حال أرادت الأمة ذلك، وأخذت بتلك الأسباب.

وتناولت الدراسة مجموعةً من العوائق والمشكلات التي تحول دون تمكين الأمة، مع توكيد ضرورة التخلص منها، وتقديم مقترحات تسهم في علاجها.

وأخيراً تناول البحث المنطلقات والأسباب التي تؤدي إلى تمكين الأمة ونهضتها من الناحية المادية والمعنوية، وأن موضوع التمكين سيتحقق للأمة إذا أخذت بتلك المقومات، مالم فإن الأمة المسلمة ستظل تحت سيطرة أعدائها.

التمكين للأمة المسلمة عوائق ومنطلقات في ضوء الفكر الإسلامي

The empowerment of the Muslim nation, obstacles and starting points in the light of Islamic thought

Abdul Rahman Ali Ismail Muhammad Al-Hajj
Department of Holy Quran and Islamic Studies, Faculty of Arts, Ibb University, Yemen

Keywords

Empowerment, Obstacles, Starting Points, Muslim Nation, Islamic hought

Abstract

The research discusses the concept of empowerment, its importance, its multiple forms, and the objectives that it is hoped to achieve.

It also deals with speaking about the possibility of empowerment of the Muslim nation, based on the legal texts, divine Sunnah's, and Islamic history, and on the basis of empowerment achieved for the nation in the light of those proofs, in case the nation wanted that and took by those reasons.

The study also discussed some problems and obstacles that stand behind the disempowerment of the nation with the emphasis of necessity to get rid of these problems and obstacles and introducing suggestions that participate in treating them.

Finally, the research dealt with the starting points and reasons that lead to the empowerment of the nation and its renaissance from the material and moral point of view, and that the issue of empowerment will be achieved for the nation if it takes into consideration these constituents unless the Muslim nation will remain under the control of its enemies.

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد: –

في ظل المعاناة التي تمر بها البشرية في عقيدتها ومنهج حياتها، وهي تتطلع إلى من ينقذها ويخرج بها من الحياة في ظل أفكار البشر، مع تعددها وتنوعها وهي تطمع إلى أحسن الآراء وأفضل السبل، يأتي الحديث عن تمكين الأمة الإسلامية كونها صاحبة الرسالة، والأمة الوحيدة التي تملك المنهج الحق والهداية إلى الصراط المستقيم في هذه الحياة، ومع الحرب الضروس التي يشنها أعداء الإسلام على الأمة المسلمة ومنعها من الوصول إلى مرحلة التمكين، مع ما تعانيه أمة الإسلام من الفرقة والضعف، إلا أن هناك مبشرات بأن التمكين قادم وأنه أمر ليس بالمستحيل كما أنه ليس بالأمر السهل، وإنما نحن بحاجة إلى إدراك أهمية التمكين وضرورته، وإحياء روح العمل لهذا الدين واستنهاض الهمم، وترتيب الأولويات والأخذ بالأسباب والانطلاق في طريق التمكين مستنيرين بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة والسنن الإلهية والحضارات التاريخية، في الوصول إلى ما كانت عليه الأمة الإسلامية من التمكين والاستخلاف في الأرض، فجاءت هذه الدراسة محاولةً في سبيل ذلك، أرجو أن تتلوها دراسات، كما سبقتها دراسات.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، في كل من النقاط الآتية:

1. أن الأمة المسلمة هي الأمة الرائدة والمؤهلة لحمل رسالة الخير، وإخراج البشرية من ظلمات الأفكار البشرية، لما تملكه من منهج سماوي سليم من التحريف والتبديل.
2. أن جهود أعداء الإسلام في الإبقاء على أمة الإسلام ضعيفةً متأخرةً، لن تكون حائلاً دون تمكين الأمة، في حال أرادت الأمة التمكين وأخذت بأسبابه، كما هو معلوم في ضوء النصوص الشرعية والسنن الإلهية والتاريخ.
3. العمل على إزالة روح الانهزام الداخلي الذي خيّم على كثير من أبناء المسلمين، حتى جعل التمكين في نظرهم من المستحيلات، وربما استسلم كثير منهم للأمر الواقع وإخضاع تعاليم الإسلام للحضارات المعاصرة.
4. المشاركة في الخير وإيقاد شمعة في طريق النصر، والدعوة إلى إثراء الموضوع وترتيبه فكرياً وعملياً، والبدء بالسير في طريق التمكين.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتتبع لموضوع التمكين لم أجد دراسة تتناول الموضوع من الناحية الفكرية الشاملة في ضوء الفكر الإسلامي عقيدة وشريعة وإنما هناك دراسات خاصة في الموضوع، من أهمها:

1. فقه التمكين في القرآن الكريم، د/ علي محمد الصلابي، وهي دراسة موضوعية خاصة بالتمكين في القرآن الكريم.

2. التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، للأستاذ/ محمد السيد محمد يوسف، وهي دراسة موضوعية خاصة بالتمكين في ضوء القرآن، تشبه الرسالة السابقة وليست دراسة علميه شاملة، ورسالة الدكتور الصلابي أشمل منها في ضوء القرآن.

3. النصر والهزيمة كما يصورها القرآن، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، 1996م، للباحث: سعيد مطلق الزوبعي، إشراف: د/ محسن عبد الحميد.

4. هناك مجموعة من الكتابات والمقالات في المجلات والدوريات لا تمثل دراسة شاملة، وقد أفدت من بعضها، مثل: الصحوة الإسلامية والتمكين، مقال منشور في مجلة البيان العدد 59 للكاتب – محمد الحريف.

هدف الدراسة:

1. تقديم دراسة شاملة حول التمكين للأمة المسلمة في ضوء الفكر الإسلامي، وإحياء موضوع التمكين وترسيخه في الأذهان، والتذكير به في زمن الضعف والفرقة، وبعث التفاؤل والقضاء على روح الانهزام، واستنهاض الهمم.

2. بيان العقبات التي تحول دون تمكين الأمة، وكيفية التمكن من التغلب عليها وتجاوزها، داخلياً وخارجياً.

3. تحديد الأولويات والبدايات للتمكين للأمة المسلمة ورسم معالم الانطلاق في طريق التمكين.

منهج البحث:

اتبع الباحث منهجين الاستقرائي والتحليلي؛ وذلك بتتبع النصوص الشرعية والسنن الكونية والإلهية والتاريخ الإسلامي، واستنباط العقبات الداخلية والخارجية، ثم وضع معالم ومنطلقات إلى التمكين للأمة المسلمة.

خطة البحث:

يتلخّص البحث في: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ثم المراجع.

المقدّمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة والهدف ومنهج البحث

المبحث الأول: التمكين في ضوء النصوص الشرعية والسنن الإلهية والتاريخ الإسلامي، ويشتمل على:

المطلب الأول: مفهوم التمكين – وأهميته – وصوره – وأهدافه

المطلب الثاني: التمكين في ضوء النصوص الشرعية

المطلب الثالث: التمكين في ضوء السنن الإلهية

المطلب الرابع: التمكين في ضوء التاريخ الإسلامي

المبحث الثاني: عوائق في طريق التمكين، وفيه:

المطلب الأول: العوائق الداخلية

المطلب الثاني: العوائق الخارجية

المبحث الثالث: منطلقات في طريق التمكين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العناية بالفرد المسلم

المطلب الثاني: بناء الأسرة

المطلب الثالث: بناء المجتمع

المطلب الرابع: الإيجابية في حياة الأمة المسلمة

المبحث الأول: التمكين في ضوء النصوص الشرعية والسنن الإلهية والتاريخ الإسلامي

المطلب الأول: مفهوم التمكين:

التمكين في اللغة: بمعنى القدرة والنهوض والسلطان والملك [1].

التمكين في الاصطلاح: من خلال نصوص الشرع يمكن تعريف التمكين بأنه: بلوغ امتلاك قدر من القوة والسلطان يساعد الأمة على إقامة منهجها.

أهمية التمكين:

1. ضرورة إقامة دين الله في الأرض، والعمل على إزالة مظاهر الشر والظلم والفساد.

2. نشر منهج الإسلام في أنحاء الكرة الأرضية وإزالة الحواجز التي تحول دون ذلك.

3. سنة الصراع بين الحق والباطل تقتضي بأن الباطل لن يسمح بانتشار الحق، وأنه لابُدّ من المدافعة لتحقيق ذلك، لقوله سبحانه:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرض وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251].

4. الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة شامل، وليس مجرّد علاقة بين العبد وربه، وإقامته على الوجه الصحيح لابُدّ له من التمكين.

5. عناية الشرع بالحديث عن التمكين من حيث حقيقته، وأهدافه، وشروطه ونحو ذلك كما يظهر من نصوص الشرع الكثيرة.

من صور التمكين:

- القدرة على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، ونشر دين الله – عزّ وجلّ – في الأرض.
- هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين، وأن تكون الكلمة العليا للحق وأهله.
- تمكين المسلمين من إقامة دين الله في الأرض، عقيدةً وشريعة في جميع جوانب الحياة.

أهداف التمكين:

من خلال تتبع نصوص القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وسنن الله الإلهية في الحياة، وتاريخ المسلمين منذ بعثة محمد ﷺ؛ نستطيع أن نلم بأهداف التمكين، وأهمها:

1. إقامة دين الله وشرعه في الأرض، وتطبيقه في جميع جوانب الحياة، واعتباره مصدر التشريع، والاحتكام إليه عند التنازع والاختلاف.

2. الدعوة إلى الله – عزّ وجلّ – ونشر دينه في الأرض، وتلك هي الممارسة الحقيقية للدعوة إلى الله تعالى في زمن التمكين، والوصول إلى هدف نشر الإسلام وتعبيد الناس لله – عزّ وجلّ – ؛ لأن الحق مهما كان واضحاً فهو بحاجة إلى قوة تؤيده وتحميه وتزيل العقبات من طريقه.

3. إقامة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية التي تتحقق في ظلها العبودية الشاملة لله – عزّ وجلّ – وإقامة أحكام الله وتطبيق شرعه في جميع جوانب الحياة، يقول الله – جلّ وعلا –:﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]، يقول الدكتور مصطفى السباعي: " إن الآية الكريمة تصرّح بالنتائج التي تترتب على انتصار المؤمنين في هذا القتال المشروع، فهي ليست استعمار الشعوب، ولا أكل خيراتها، ولا انتهاب ثرواتها، ولا إذلال كرامتها، وإنما هي نتائج لمصلحة الإنسانية، ولفوائد المجتمعات فهي:

أ. لنشر السمو الروحي في العالم عن طريق العبادة: ﴿ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

ب. لنشر العدالة الاجتماعية بين الشعوب عن طريق الزكاة: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

ج. لتحقيق التعاون على خير المجتمع وكرامته ورقيه: ﴿ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾.

د. للتعاون على مكافحة الشر والجريمة والفساد: ﴿ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾.

تلك هي النتائج التي تترتب على انتصار المؤمنين في قتال أعدائهم، من إقامة دولة إسلامية تعمل على سمو الروح، وتكافل المجتمع، ورقي الإنسان عن طريق الخير، ومنع انحداره عن طريق الشر، فأية غاية إنسانية أنبل من هذه الغاية التي شرع من أجلها القتال في الإسلام "[2].

4. تحقيق مقاصد الشريعة وحماية الكليات والضروريات التي جاءت الشريعة بتحقيقها، سواء في ذلك الضروريات أم الحاجيات أم التحسينات، وهذه المحافظة على الضروريات، من أجلها شُرعت الحدود وأحكام الجنايات، يقول الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله تعالى –: " ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم. فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة هو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة "[3].

المطلب الثاني: التمكين في ضوء النصوص الشرعية:

من خلال تتبع نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، نجد حديث القرآن عن التمكين من حيث مفهومه، وشروطه، وأنواعه، وغايته وأن الأمة الإسلامية مهما بلغ بها الضعف والتفرق أو قوة الأعداء وسيطرتهم؛ فإنها موعودة بالتمكين والاستخلاف في الأرض، إذا أخذت بأسبابه وشروطه واجتنبت موانعه، ويتضح ذلك من خلال الفروع الآنية:

الفرع الأول: بيان مفهوم التمكين:

1. التمكين لذي القرنين: يقول سبحانه وتعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 83-84]، والمقصود بالتمكين هنا الملك والسلطان، حيث أخبر سبحانه أنه مكّن لهذا العبد الصالح في الأرض وأعطاه

سلطاناً قوياً ويسّر له الأسباب التي تدعم هذا السلطان، وأعطاه من كل شيء مما يقوي سلطانه، يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى –: "أي: أعطيناه ملكاً عظيماً متمكناً، فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم من العرب والعجم، ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها "[4]، ويقول العلامة الشوكاني – رحمه الله –: " أي: أقدرناه بما مهدنا له من الأسباب، فجعلنا له مكنة وقدرة على التصرف فيها، وسهّل عليه المسير في مواضعها، وذلّل له طرقها حتى تمكّن منها أين شاء وكيف شاء، ومن جملة تمكينه فيها أنه جعل له الليل والنهار سواء في الإضاءة "[5]، ويقول الإمام السعدي – رحمه الله تعالى –: " أي ملّكه الله تعالى ومكّنه من النفوذ في أقطار الأرض وانقيادهم له، وأعطاه الله من الأسباب الموصلة له، لما وصل إليه، ما يستعين به على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران. وعمل بتلك الأسباب، التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمعت القدرة على السبب الحقيقي، والعمل به، حصل المقصود، وإن عدماً، أو أحدهما لم يحصل [6].

2. التمكين ليوسف – عليه السلام – يقول جل وعلا:﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأرض يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ٥٦﴾ [يوسف: 56]، يقول الإمام ابن كثير: " يقول تعالى: (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أي: أرض مصر، ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [يوسف: 56] قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يتصرف فيها كيف يشاء. وقال ابن جرير: "يتخذ منها منزلاً حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار،﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 56] أي: وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته، وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز، فلهذا أعقبه الله عزّ وجلّ السلامة والتأييد، ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: 56-57]، يخبر تعالى أن ما ادّخره الله لنبيه يوسف عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا "[7]، ويقول الإمام الشوكاني: " أي جعلنا له مكانا، وهو عبارة عن كمال قدرته ونفوذ أمره ونهيه حتى صار الملك يصدر عن رأيه، وصار الناس يعملون على أمره ونهيه ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [يوسف: 56]، أي: ينزل منها حيث أراد ويتخذ مباءة، وهو عبارة عن كمال قدرته كما تقدّم، وكأنه يتصرّف في الأرض التي أمرها إلى سلطان مصر، كما يتصرف الرجل في منزله "[8].

3. التمكين لبني إسرائيل: يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرض وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأرض وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا

مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص:5-6]، يقول الإمام ابن كثير: " أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قدر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري، بل نفذ حكمه قلمه بأن يكون هلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده وقتلت بسببه ألوفاً من الولدان، إنما منشؤه ومرباه على فراشك وفي دارك، وغذاؤه من طعامك وأنت تربيه وتدلله وتتفداه، وحتفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السموات العلا هو القاهر الغالب العظيم القوي العزيز الشديد المحال، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[9]، يقول الإمام الشوكاني: " أي ونحن نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض، ونجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه، وولاة على الناس وملوكاً فيهم (ونجعلهم الوارثين) لملك فرعون ومساكن القبط وأملاكهم، فيكون ملك فرعون فيهم ويسكنون في مساكنه ومساكن قومه، وينتفعون بأملاكه وأملاكهم (ونمكن لهم في الأرض) نجعلهم مقتدرين عليها وعلى أهلها مسلطين على ذلك يتصرفون به كيف شاءوا "[10]، ويقول الإمام السعدي: " بأن نزيل عنهم مواد الاستضعاف، ونهلك من قاومهم، ونخذل من ناوأهم، ونجعلهم أئمة في الدين، وذلك لا يحصل مع استضعاف، بل لابُدّ من تمكين في الأرض، وقدرة تامه، ونجعلهم وارثين للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة، فهذه أمور كلها قد تعلقت بها إرادة الله، وجرت بها مشيئته "[11]،، وحين حقق بنو إسرائيل الإيمان بالله – عزّ وجلّ – وصدقوا برسالة موسى – عليه السلام – ولم يكترثوا بتهديد فرعون حين قال لهم: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 124]، فكان جوابهم: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 50] ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: 72]﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 73].

الفرع الثاني: بيان شروط التمكين وأسبابه:

رغّب الله تعالى عباده المؤمنين في التمكين ووعدهم به، إن أخذوا بأسبابه وحقّقوا شروطه واجتنبوا موانعه، فالأمر بيد الله، والأمر كله لله:﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]، وإذا أراد الله أمراً، فلا راد لقضائه، ولا معقّب لحكمه، يقول للشيء كن فيكون.

وإذا كان التمكين قد حصل لبني إسرائيل حين حقّقوا الإيمان والعمل الصالح، مع ما كان عليه فرعون وجنوده من الطغيان والجبروت والظلم وممارسة الإذلال والعبودية لبني إسرائيل، ولم ينفع فرعون حذره ولا جنوده وملكه، فقد جاءه الهلاك والدمار من حيث لا يحتسب، قال سبحانه: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأرض وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا

مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137]

إذا فالأمر لا يعدو الإيمان بالله تعالى والعمل بطاعته واجتناب معصيته واللجوء إليه سبحانه والأخذ بأسباب التمكين المادية والمعنوية، وهو ما أخبر الله تعالى به في كتابه، فقال سبحانه مبيّناً لأسباب التمكين وشروطه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، يقول سيد قطب – رحمه الله تعالى –: " كان الصحابة مستضعفين خائفين، ثم إن الله تعالى أمّنهم ومكّنهم وملّكهم، وتبديل خوفهم بالأمن، أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح ؟ فقال عليه السلام: " لا تلبثون إلا قليلاً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس عليه حديدة "، وقال ﷺ: " والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون "[12]، فكان كما أخبر ﷺ فالآية معجزة النبوة؛ لأنها إخبار عمّا سيكون فكان " [13].

إنّ تحقيق الإيمان بكل معانيه وأركانه، قولاً وعملاً، وتحقيق العبودية الشاملة في جميع جوانب الحياة وتحكيم شرع الله ودينه في كل قضية، ومحاربة الانحراف عن دين الله – عزّ وجلّ – في أي جانب؛ كل ذلك يُعد من أهم شروط التمكين، ويتلخّص ذلك فيما يأتي:

1. تحقيق الإيمان بالله – عزّ وجلّ – بمفهومه الشامل، كما وضّحه القرآن الكريم والسنة النبوية، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]، وقال سبحانه:﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: 15]، وقال جل وعلا: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

2. تحقيق العبودية لله تعالى وأنها غاية الوجود الإنساني، كما يظهر من قوله سبحانه:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وأنها الإذعان الكلي والخضوع الكامل والطاعة المطلقة [14]، فهي تشتمل على الخضوع والحب، وليس مجرد شعائر جوفاء بل تعظيم وذل للمعبود سبحانه [15].

3. محاربه الشرك بجميع أشكاله وصوره، والسعي لتحكيم شرع الله تعالى، حتى لا يبقى للشرك أي مظهر من مظاهر الشرك، سواء في

جانب الربوبية والالوهية أم في جانب الأسماء والصفات.

4. تحقيق التقوى قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً، فهي من أعظم أسباب التمكين، قال سبحانه:﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2]، وقال تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]، وقال سبحانه:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرض ﴾ [الأعراف: 96]، وقال جلّ وعلا:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29]، ومن أعظم ثمار التقوى ما يأتي:

1 – المخرج من كل ضيق، والرزق من حيث لا يحتسب العبد: قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2-3].

٢ – السهولة واليسر في كل أمر: قال تعالى:﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]، قال سيد قطب رحمه الله: "واليسر في الأمر غاية ما يرجوه إنسان، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل اللهُ الأمور ميسّرة لعبد من عباده، فلا عنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيقة، يأخذ الأمور بيسر في شعوره وتقديره، وينالها بيسر في حركته وعمله، ويرضاها بيسر في حصيلتها ونتيجتها، ويعيش من هذا، في يسر رخى ندى حتى يلقى "[16].

٣– تيسير العلم النافع: قال تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282]. قال العلامة محمد رشيد رضا: " أي اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه، وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك، وهو سبحانه العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئاً فإنما يشرعه عن علم محط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح لمن تبع شرعه، وكرّر لفظ الجلالة لكمال التذكير وقوة التأثير"[17] لقد تكرّر لفظ الجلالة في قوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282]، ثلاث مرات، فالأولى حث على التقوى والثانية وعد بإنعامه، والثالثة تعظيم شأنه سبحانه وتعالى.

4 . إطلاق نور البصيرة: قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29]. إن تقوى الله تعالى في الأمور كلها تعطى صاحبها نوراً يفرّق به بين الحق والباطل، وبين دقائق الشُبهات التي لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس، وعندما تسيطر تقوى الله على الصف المسلم يصبح يتحرك بفرقان رباني.

5 – محبة الله عزّ وجلّ ومحبة ملائكته والقبول في الأرض: قال تعالى:﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 76].

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل – عليه السلام – ثم ينادي في أهل السماء، إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض "[18].

6– نصرة الله عزّ وجلّ وتأييده وتسديده: وهي المعية المقصودة بقول الله عزّ وجلّ:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194]، فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد، وهي معية الله – عزّ وجلّ – لأنبيائه وأوليائه ومعيته للمتقين والصابرين وهي تقتضي التأييد والحفظ والإعانة، كما قال تعالى لموسى وهارون:﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46]، أما المعية العامة مثل قوله تعالى:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: 4]، وقوله:﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: 108]، والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله عزّ وجلّ.

7- البركات من السماء والأرض: قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرض﴾ [الأعراف: 96].

قال القاسمي رحمه الله:(ولو أنّ أهل القرى) أي: القرى المهلكة (آمنوا) أي: بالله ورسلهم (واتقوا) أي: الكفر والمعاصي (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) أي: لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب، مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض[19]. ويدل على هذا المعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: 16].

فانظر إلى بركات التقوى، واعلم أن ما نحن فيه من قلة البركة، ونقص الثمار، وكثرة الآفات والأمراض، إنما هو نتيجة حتمية لضعف وازع التقوى وكثرة المعاصي، كما يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41].

٨ – البشرى: وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم: قال تعالى:﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [يونس: 62-64]

والبشرى في الحياة الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين. في غير مكان من كتابه وعن النبي ﷺ: " الرؤيا الصالحة من الله "[20]. وعنه ﷺ: " لم يبق من النبوة إلا المبشرات ". قالوا: وما المبشرات؟ قال: " الرؤيا الصالحة"[21]. وعن أبي ذر قال: قلت لرسول الله ﷺ: الرجل يعمل العمل لله ويحيه الناس، فقال: " تلك عاجل بشرى المؤمن"[22]. وقد رأينا من الموفقين في العمل الإسلامي ثناء الناس على أعمالهم في الدنيا.

9 . الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم: قال تعالى:﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

قال ابن كثير – رحمه الله: " يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل على الله، الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشاء لم يكن "[23]. إنه تعليم من الله تعالى للمسلمين في كيفية الاستعانة على أعداء الله وكيدهم.

١٠. حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى – عزّ وجلّ –: قال تعالى:﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9]، وفي الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذين يخشون ترك ذرية ضعافا، إلى التقوى في سائر شؤونهم حتى تحفظ أبناءهم ويدخلوا تحت حفظ الله وعنايته، والآية تشعر بالتهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف، كما في آية:﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: 82].

فإن الغلامين حفظا ببركة أبيهما في أنفسهما ومالهما [24].

١١. سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

ولهذا لابُدّ من الدعاة العاملين والعلماء الراسخين من استحضار هذه المعاني العظيمة، إن أعمالنا مهما كان حجمها، وتضحياتنا مهما كانت ضخامتها، لا تقبل إلا من المتقين؛ لأنهم هم الذين يستشعروا أن كل خير هو من الله وحده.

١٢. سبب النجاة من عذاب الدنيا: قال تعالى:﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: 17-18].

إن الله تعالى سلّم أهل الإيمان والتقوى من بين أظهر الكافرين، دون أن يمسّهم سوء أو أن ينالهم من ذلك ضرر، بسبب إيمانهم وتقواهم لله تعالى.

١٣. تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار، وعظم الأجر وهو –، الفوز بدرجة الجنة: قال تعالى:﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5]، قال ابن كثير – رحمه الله – أي: " يذهب عنهم المحظور، ويجزل لهم الثواب على العمل اليسير " [25].

14 . ميراث الجنة، فهم أحق الناس بها وأهلها، بل ما أعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية. قال تعالى:﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63]. فهم الورثة الشرعيون لجنة الله عزّ وجلّ.

15 . وهم لا يذهبون إلى الجنة سيراً على أقدامهم بل يحشرون إليها ركباناً مع أن الله – عزّ وجلّ – يقرّب إليهم الجنة، تحيةً لهم ودفعاً لمشقتهم، كما قال تعالى:﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31]، وقال تعالى:﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85].

16 . وهي تجمع بين المتحابّين من أهلها، حين تنقلب كل صداقة ومحبة إلى عداوة ومشقة: قال تعالى:﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67]. ومن بركة التقوى أن الله – عزّ وجلّ – ينزع ما قد يعلق بقلوبهم من الضغائن والغل فتزداد مودتهم وتتم محبتهم وصحبتهم، قال تعالى:﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ

وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 45-47]

الفرع الثالث: أسباب التمكين في ضوء القرآن الكريم، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

أولاً: الأخذ بالأسباب المعنوية:

حيث يأتي الإعداد المعنوي في المرتبة الأولى من أسباب التمكين، وبدونه، لن يُكتب للأمة تمكينٌ حتى ولو تفوّقت في الجانب المادي، ومن أهم الأسباب المعنوية ما يأتي:

1. التربية الإيمانية: والتي تشمل الجانب العقدي والجانب السلوكي، وبواسطتها يمكن تربية الأمة تربية ربانية بإيجاد الفرد الصالح في نفسه عقيدة وسلوكاً والمصلح لغيره، وتبدأ تلك التربية من إصلاح العقيدة بجميع جوانبها وأركانها المعروفة، أركان الإسلام والإيمان والإحسان وإصلاح القلوب بغرس محبة الله تعالى وتعظيمه وخوفه ورجائه والرضى بشرعه وقبول ما جاء من عنده والثقة به والتوكل عليه، وبالتالي صلاح الجوارح بفعل الطاعات وترك المعاصي.

2. إعداد القيادة الربانية: فهي عصب التمكين وبصلاح القيادة تصلح الأمة وبفسادها تفسد الأمة، وهذا ما حرص عليه أعداء الإسلام ألا يمكّنوا للقيادات الرّبانية ولا يسمحوا بتربيتها، بل يسعون بكل وسيلة لإفساد أنظمة الحكم بتولية الحكم لغير الأكفاء وإفساد الأنظمة بالرشوة والنساء حتى تنفصل القمة عن القاعدة.[26]

وقد صرّح المستشرق (مونتجمرى) في جريدة التايمز قائلاً: "إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلّم الكلام المناسب عن الإسلام فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم "[27].

3. محاربة أسباب الفرقة: سواء كانت على شكل آراء وأفكار منحرفة متطرفة خارجة عن حقيقة هذا الدين أم كانت على شكل أفراد يتظاهرون بالإسلام ويسعون لهدمه من الداخل، بإثارة الشبهات والشهوات والبدع المخالفة لهدى الإسلام، ونشر المعتقدات الفاسدة والمناهج المنحرفة.[28]

ومن أمثلة ذلك ما فعله بشر المريسي، وعبد الله بن سبأ اليهودي، والجعد بن درهم، وأمثالهم ممن فرقوا شمل الأمة وفرقوا جماعتها.[29]

4. الأخذ بأصول الوحدة والاجتماع: فإن ذلك من أعظم وسائل الارتقاء، وباجتماع الكلمة تصبح الأمة كالجسد الواحد، ونصوص الشرع في هذا لا تخفى، من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ونتائج الوحدة والاجتماع وآثارها الطيبة في قوة الأمة وهيبتها أمام أعدائها، وهذا ما ينبغي على المسلمين العناية به، وأعظم ذلك وحدة العقيدة والمرجعية والاعتصام، بنصوص الشرع وقبول الحق والحذر من التقليد والتعصب الأعمى.

ثانياً: الأخذ بالأسباب المادية:

وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الأسباب المعنوية من تدريب وإعداد وتوفير كوادر في كافة مناشط الحياة، وهذا لا شكّ أنه بحاجه إلى تخطيط

وإدارة واعية، ويمكن تحقيق شيء من ذلك فيما يأتي:

1. التفرغ: ولا سيما أصحاب القدرات المتميزة في المواقع المهمة، فالأعمال العظيمة تحتاج إلى أوقات كبيرة وجهود ضخمة وهمم عالية مع التنوع والتكامل، حتى تُسدّ كل الثغرات في العمل الإسلامي، مع توفير كل ما يحتاجه المتفرغ من الأجر الكافي، حتى يتفرغ للعطاء والبذل، مع مراعاة عدم الإسراف والبذخ، وإعداد الكوادر بالمواصفات المناسبة دون خلل:﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26].

2. إعداد المختصّين في جميع جوانب الحياة وذلك من أهم الضرورات اللازمة، فالتمكين بحاجة شديدة للتخصص الدقيق، لأن الذكاء وحده لا يكفي، والموسوعية في كل فن لا يفيد وإنما الذي يفيد ويساير العصر الدراسة العلمية المتخصصة القادرة على اتقان العمل الموكل إليها، وذلك الاتقان لا يتم في عصرنا إلا بالتخصص الشامل لجميع جوانب الحياة العلمية والدعوية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، دون أن تتكدّس العقول في جميع جوانبها، كالهندسة والطب والصيدلة، ولا شكّ أن ذلك بحاجة ماسة إلى مراكز للبحوث وجمع الدراسات.[30]

3. التخطيط والإدارة: فالتخطيط السليم والإدارة الناجحة من الأسباب المهمة في التمكين لدين الله – عزّ وجلّ –، وقد عرّف بعضُ الباحثين التخطيط بأنه جسر الحاضر والمستقبل [31]، وهو ما يُفهم من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، مثل قوله تعالى:﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأرض إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77]، وقوله تعالى:﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60]، يقول الدكتور عبد الرحمن الضحيان: " هذه الآية دعوة للإدارة الإسلامية بالعمل والتخطيط والاستعداد بقوة المواجهة أمر مستقبلي قد يحدث لدار الإسلام وأمته، والقوة هنا تفهم بمفهوم العصر، فقد تفهم بالقوة البدنية، وذلك ببناء الرجال الأشداء الأقوياء في إيمانهم وأبدانهم وقوة السلاح بكل أنواعه"[32]، وقد بين الله تعالى من ذلك ما قام به يوسف – عليه الصلاة والسلام – من التخطيط السليم لتلافي مجاعة كانت تهدد الناس أجمعين.

4. الإعداد الاقتصادي: فلابُدّ أن يهتم المسلمون بالجانب الاقتصادي، فهو عصب الحياة، والأمة الضعيفة لا يُحسب لها حساب عند الأقوياء، فلابُدّ من تحقيق الاكتفاء الذاتي واستغلال الموارد البشرية والمادية والانتقال إلى مجال الإنتاج، بدلاً من البقاء سوقاً لبيع منتجات الآخرين، وكذلك تخليص البشرية من الأنظمة الاقتصادية الوضعية، وهذا لا شك بحاجة إلى تخطيط وتهيئة للطاقات البشرية وحسن توزيعها واستغلال الموارد المتاحة، والتنسيق بين فروع الإنتاج.[33]

5. الإعداد الإعلامي: وذلك لأهميته وآثاره في تزويد الناس بالحقائق والمعلومات ونشر الوعي والمحافظة على شخصية المجتمع بكل معتقداته وحمايته من الغزو الفكري وتحقيق الترابط بين المجتمع ودفع الشائعات وتبليغ الرسالة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن تتبّع سيرة المصطفى ﷺ في مراحل الدعوة الإسلامية المختلفة في مكة والهجرة وبناء المسجد والغزوات والسرايا؛ أدرك أهمية الإعداد الإعلامي وأثره وضرورة العناية به.[34]

الفرع الرابع: أنواع التمكين وغايته:

المتتبّع لنصوص القرآن الكريم والسنه النبوية يجد أن هناك صوراً وأنواعاً للتمكين للأمة المسلمة، وليس قاصراً على نوع واحد، ومن أبرز صور التمكين وأنواعه ما يأتي:

أولاً: تبليغ الرسالة وأداء الأمانة: وهو من أهم صور التمكين التي ذكرها – الله تعالى – في القرآن الكريم، حيث يمكّن – الله تعالى – لأهل الحق، من تبليغ الدعوة ونشر الرسالة واستجابة الخلق، كما حصل مع أصحاب الأخدود، وكما حصل مع نبينا محمد ﷺ، ولا سيّما في العهد المكي مع ما حصل من التضييق والإيذاء.

ثانيًا: هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين: وهي من أبرز صور التمكين وأنواعه، وقد حصلت لأنبياء الله ورسله، كما في قوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم.

ثالثاً: الانتصار في مجال الدعوة ومجال الجهاد بالسيف والسنان: إذ قد يكون التمكين للدعوة بتحقيق النصر على الأعداء في الجهاد بالسيف والسنان، كما حصل للمسلمين في بدر والخندق ويوم فتح مكة وحنين وكذا يوم القادسية واليرموك وغيرها من المعارك في تاريخ المسلمين، وذلك من أعظم صور التمكين وأنواعه، وأما الغاية من التمكين فقد تطرّقت نصوص القرآن إلى بيان غايه التمكين والأهداف المرجوّة من ورائه حتى لا يظن أن هدف التمكين هو التسلط في الأرض ونهب الثروات واستعباد الشعوب لتحقيق الثراء وتوسيع نطاق الممالك والدول، إن من وراء التمكين في الإسلام أهدافاً سامية تحقّق الغاية من الخلق والسعادة للشعوب وإقامه العدل والأمن والاستقرار وإزالة الطغيان والظلم، ويمكن أن يتلخّص ذلك في الفقرات الآتية:

أولاً: إقامة المجتمع المسلم: الذي تتحقّق فيه العبودية الشاملة لله تعالى، ولذلك لابُدّ من إقامة دولة الإسلام بدعائمها ودستورها وقواعدها ومبادئها، ولابُدّ من إقامة فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى مكارم الأخلاق وتطبيق الحدود وتعليم الأمة ما ينفعها في الدنيا والآخرة وممارسة قواعد النظام السياسي الإسلامي من الشورى والعدالة والمساواة.[35]

ثانياً: نشر الدعوة إلى الله تعالى: وذلك أن دين الإسلام دين دعوة مستمرة لا تتوقّف حتى تتوقّف الحياة البشرية من على وجه الأرض، وممارسة الدعوة بعد التمكين هي الممارسة المجدية القادرة على الوصول إلى أهدافها؛ لأن دولة وحكومة ترعاها وتؤيدها، والحق مهما كان

واضحاً، فإنه بحاجة إلى قوة تؤيده وتحميه، ذاك الشأن هو سنة من سنن الله في الأرض.

إن الدولة المحكمة لشرع الله هي المناط بها إعداد وتهيئة وحماية الدعاة، وتوفير السبل والوسائل المعينة لهم على القيام بهذه المهمة، وهي المسؤولة أيضاً عن نشر هذه الدعوة في أرجاء الأرض وربط السياسة الخارجية على الأسس الدعوية العقدية، قبل بنائها على الأسس المصلحية النفعية، وذلك كما كان يفعل رسول الله ﷺ، كان يقوم بتبليغ الدعوة إلى الآفاق امتثالاً لقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67].[36]

الفرع الخامس: المستقبل للإسلام:

ومما يدل ويبشر بالتمكين للأمة المسلمة، ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من النصوص الدالة على أن المستقبل للإسلام، وأن سائر الأديان الوضعية إلى قلة وضعف، وأن الإسلام إلى زياده وعلو ومن تلك النصوص:

1. قوله سبحانه:﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]، وقوله ﷺ " الإسلام يعلو ولا يعلى عليه "[37].

2. عن ثوبان قال: قال رسول ﷺ: " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها "[38].

3. حديث أبي ثعلبة الخشني أن النبي ﷺ قال: " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر "[39].

المطلب الثالث: التمكين في ضوء السنن الإلهية:

ومن خلال التتبّع والاستقراء للسنن الإلهية نجدها دالةً على حصول التمكين والوعد من الله – عزّ وجلّ – بالنصر والاستخلاف لهذه الأمة وأنهم إذا أخذوا بتلك السنن حصل لهم التمكين والاستخلاف والنصر على الأعداء وأن ما تعانيه أمه الإسلام اليوم من الضعف والتفرّق وسيطرة الأعداء هو بسبب ترك تلك السنن وإهمالها أو ربما مصادمتها وعدم الأخذ بها، ويمكن توضيح ذلك في الفروع التالية، على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر:

الفرع الأول: سنه الله تعالى في التغيير:

تغيير المجتمعات من حال إلى حال ظاهرة مشاهدة، فالمجتمعات لا تبقى على حال واحدة، بل دائمة التغيير من قوة إلى ضعف، ومن غنى إلى فقر، ومن نصر وتمكين إلى ضعف وهزيمه، وهكذا.. وهذا جزء من سنة التداول، غير أن ذلك التغيير له قانون يضبطه ويسير عليه، فالوجود لا يسير جزافاً ولا يخبط خبط عشواء، فلا يتغيرّ من حال إلى حال إلا وفق سنة من سنة الله تعالى.

فمن أخذ بأسباب القوة والغنى والتمكين والرخاء تغيّر حاله إليها، ومن أخذ بأسباب

الضعف والفقر والهزيمة والشدة تغيّر حاله إليها، وتلك سنة ماضية لا تتخلّف، سواء أخذ بها المسلم أو أخذ بها الكافر، وهذا يعني أن أمة الإسلام يمكن لها أن تتمكن ويتحوّل حالها إلى القوة والنصر والتمكين والاستخلاف، إذا أخذت بأسباب ذلك، ومن تلك الاسباب ما يأتي:

1. تحقيق الإيمان بالله عزّ وجلّ، وما يدخل في ذلك من توحيد الله تعالى في ربوبيه وألوهيته وأسمائه وصفاته، والعمل بشريعته ظاهراً وباطناً، فتلك هي الركيزة الأساسية للتغيير.[40]

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: " وإدراك المسلم لطبيعة التصوّر الإسلامي وخصائصه ومقوّماته، هو الذي يكفل أن يكون عنصراً صالحاً في بناء هذه الأمة ذات الطابع الخاص المتفرّد المتميز، وعنصراً قادراً على القيادة والإنقاذ، فالتصوّر الاعتقادي هو أداة التوجيه الكبرى إلى جانب النظام الواقعي الذي ينبثق منه، ويقوم على أساسه "[41].

ويقول الدكتور بشير حاج: " إن العقيدة وما ينبثق عنها من خُلق وقيم هي الأساس الذي يقوم عليه البناء، والقاعدة التي يقوم عليها صرح المجتمع، فإذا صحّت الأسس واستقامت الموازيين، صح المجتمع كذلك واستقام"[42].

2. إحياء مبدأ النصيحة والحسبة ومحاربه الانحراف عن منهج الإسلام، عقيدةً وسلوكاً في جميع جوانب الحياة، والذي يؤدي إلى تغيير الحال من الضعف والفرقة إلى القوة والاجتماع والألفة، والحذر من السكوت عن مظاهر الانحراف التي أدت إلى تغيّر حال المسلمين إلى الأسوء. [43]

3. إحياء مبدأ الدعوة إلى الله تعالى ونشر الإسلام وتعريف غير المسلمين بالإسلام، فإن ذلك من أعظم أسباب التغيير، حيث يكسب المسلمون إلى صفوفهم كوادر جديدة من جهة، وتضعف أمة الكفر من جهة، ويقوي الصف الإسلامي من جهة أخرى، بل ويسلم من كثير من الشرور التي تأتي من قبل أعداء الله تعالى ومحاربتهم للإسلام بسبب جهلهم به، كما حصل من التتار.[44]

4. الفهم الصحيح للإسلام وإزالة الجهل الحاصل عند المسلمين بدينهم، وما يصاحب ذلك من انحراف عقدي وسلوكي وتقليد وتعصب أعمى للباطل، بل وخيانة وولاء لأعداء الله عزّ وجلّ، وذلك من أهم ركائز التغيير إلى الأفضل.

5. استغلال الطاقات الإنسانية كلها لدى المجتمع المسلم، فلا تهدر منها طاقة واحدة، يمكن أن ينتفع بها في عمارة الأرض، سواء على مستوى استغلال طاقة الفرد أم الجماعة، وذلك مما يحدث التوازن في المجتمع المسلم.[45]

الفرع الثاني: سنة الله تعالى في النصر والهزيمة:

وهذه السنة أبلغ من سابقتها في الدلالة على التمكين لأمة الإسلام، ونصرهم على عدوهم، وهزيمة المخالفين لهم، وقد ربط الله تعالى بين نصره للمؤمنين وبين الحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض، ولكن قد يبطئ النصر حتى تبذل الأمة آخر ما في طوقها من قوة " وقد يبطئ

النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل ولا تجد لها سنداً إلا الله، ولا متوجهاً إلا إليه وحده في الضراء، وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذّن به الله، فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها الله به.

وقد يبطئ النصر؛ لأن الأمة المؤمنة لم تتجرّد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته فهي تقاتل لمغنم تحققه، أو تقاتل حميةً لذاتها أو تقاتل شجاعةً أمام أعدائها، والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله بريئاً من المشاعر الأخرى.

كما قد يبطئ النصر؛ لأن الأمة التي يحاربها المؤمنون فيها بقية من خير، يريد الله أن يجرّد الشر منها ليتمحّض خالصاً، ويذهب وحده هالكاً، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار.

وقد يبطئ النصر؛ لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين فيه، ولم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله، فتظلّ له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة، فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عارياً للناس، ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية.

وقد يبطئ النصر؛ لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثّله الأمة المؤمنة، فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر معها قرار، فيظلّ الصراع قائماً حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر ولاستبقائه ! "[46].

وينبغي أن يفهم النصر بمفهومه الشامل وصوره المتعددة ولا يحصر في صورة واحدة من وجوه النصر:

1. النصر بالانتقام لهم ممن آذاهم سواء كان ذلك بوجودهم، أو في غيبتهم، أو بعد موتهم، كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيباً عليهم الصلاة والسلام، حيث سلّط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم، وقد ذكر أن النمرود أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر، وأما الذين راموا صلب المسيح – عليه السلام – من اليهود، سلّط الله سبحانه وتعالى عليهم الروم، فأهانوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً، فيقتل المسيح الدجّال وجنوده من اليهود، ويقتل الخنزير ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام، وهذه نصرة عظيمة [47].

2. النصر بغلبة الحجة والبرهان، وذلك كانتصار إبراهيم – عليه السلام – بحجّته على قومه، وهو عام لجميع المحقين، وهو سلطان أعظم من سلطان الملك، لأنه لا يزول أبداً.

3. النصر بإنزال عقوبة الاستئصال أو غيرها من العقوبات الكونية، التي لا مدخل للبشر فيها على أعداء المؤمنين والرسل، مثل عقابه لقوم نوح وصالح وغيرهم.

4. النصر بنجاة المؤمنين من كيد أعدائهم وسلامتهم من شرورهم كانتصار إبراهيم – عليه

السلام – بنجاته من النار التي أجّجها قومه لحرقه.

5. النصر بانتصار وانتشار فكرة الداعي باستشهاده في سبيل الله، وكم من شهيد لم يكن يملك أن ينصر عقيدته ودعوته، ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده، كالنصر الذي ظفر به غلام أصحاب الأخدود مع سقوطه شهيداً على يد عدوه الملك الذي رماه بسهم من كنانة الغلام نفسه! وقال كما ذكر له الغلام نفسه: باسم الله رب الغلام فرماه فأصابه فوضع الغلام يده على صدغه فمات، فتحوّل الناس مؤمنين بدعوة الغلام كافرين بالملك الجبار.

6. النصر بإزالة دولة الكفر، ولو بعد حين، عن طريق الانهيار الذاتي أو بتسليط دولة كافرة أخرى، ثم ظهور دولة الإسلام ظهوراً غير مصحوب بأعمال قتالية.

7. النصر بإحباط الله لخطط الأعداء وعدم تمكينهم من التغلّب على قوة المسلمين، وبقاء المسلمين متمسّكين بدينهم، رغم ضراوة الحرب ضدهم.

8. النصر بظهور الحق على الباطل، واعتراف أنصار الباطل في نفوسهم بأنهم مبطلون، وبأن خصومهم الدعاة هم المحقّون.

9. وقد يأتي النصر الفكري بتحوّل الغالب الفاتح إلى دين المغلوب المهزوم في معارك القتال، كما حصل ذلك في بعض أطوار التاريخ عندما دخل التتار في الإسلام.

10. ومن صور النصر: إيتاء الكتاب والهدى ووراثة ذلك من أتباعهم، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة بعد تقرير نصر الرسل في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [غافر: 53-54].

11. ومن صور النصر: انتصار المؤمنين على ذواتهم وشهواتهم وعدم استسلامهم، فقد كان إبراهيم – عليه السلام – في قمة النصر وهو يُلقى في النار.

وقد ذكر الرازي وجوهاً أخرى من وجوه، النصر فقال: واعلم أن نصرة الله المحقين تحصل بوجوه:

أحدها: أنهم منصورون بالمدح والتعظيم، فإن الظلمة وإن قهروا شخصاً من المحقين، إلا أنهم لا يقدرون على إسقاط مدحه على ألسنة الناس.

وثانيها: أنهم منصورون بسبب أن بواطنهم مملوءة من أنوار الحجة وقوة اليقين، فإنهم إنما ينظرون إلى الظلمة والجهال، كما تنظر ملائكة السماوات إلى أخس الأشياء.

وثالثها: أن المبطلين وإن كان يتفق لهم أن يحصل لهم استيلاء على المحقين ففي الغالب أن ذلك لا يدوم، بل يكشف للناس أن ذلك أمر وقع على خلاف الواجب ونقيض الحق.

ورابعها: أن الظلمة والمبطلين، كما يموتون، تموت آثارهم، ولا يَبقى لهم في الدنيا أثرٌ ولا خبرٌ، وأما المحقون فإن آثارهم باقيةٌ على وجه الدهر، والناس بهم يقتدون في أعمال البر والخير،

ولمحنهم يتركون، فهذا كله أنواع نصرة الله للمحقين في الدنيا.[48]

المطلب الرابع: التمكين في ضوء التاريخ الإسلامي:

يعد التاريخ الإسلامي هو الكتاب المأثور والمملوء بالدروس والعبر، بل هو مدرسة متكاملة في جميع جوانب الحياة العقدية والسلوكية والحضارية، يستفيد منه كل إنسان مهما كان موقعه، حاكماً أو محكوماً، والدول والحضارات كما يقول المؤرّخون تهاجر وتنتقل من مكان إلى آخر، ولا تموت ضمن سنة التداول والتدافع والأخذ بالأسباب.[49]

والمتتبّع للتاريخ الإسلامي، منذ فجر الإسلام، يجد أن الإسلام بدأ في العهد المكي غريباً محارباً وأهله في ضعف وقلة وذلة، وراية الكفر وأهله في عزة ومنعة، فكيف تغيّر الأمر وجاء يوم وإذا المسلمون حول النبي ﷺ في حجة الوداع، وهم عن يمينه وشماله، ومن أمامه ومن خلفه، مدّ البصر، ويمكن توضيح ذلك من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول: التمكين للإسلام في العهد النبوي:

قلنا إن العهد النبوي بدأ غريباً، والمسلمون في حال من الغربة والقلة، ولكن مع مرور الأيام والأخذ بالأسباب والجد في الدعوة ونشر الإسلام، من قبل النبي ﷺ وأصحابه، وكل من دخل في الإسلام من الرجال والنساء، انتشرت دعوة الإسلام في ربوع الجزيرة العربية، حتى وصلت إلى مشارف بلاد الشام، وحصل التمكين للمسلمين، سواء بنشر الدعوة في العهد المكي أم بالانتصارات التي حققها المسلمون في جهاد السيف والسنان في العهد المدني، ومن خلال دراسة تلك الحقبة التاريخية يظهر أنها تجمع عدة أسباب أدّت إلى التمكين للإسلام والمسلمين في تلك الفترة، ومن أبرز تلك الأسباب:

1. البشارات السابقة في الكتب السماوية التي بشّرت ببعثته ﷺ.
2. اختيار مكّة منطلقاً للدعوة، لما لها من الخصائص والمميزات.
3. التشريعات الحكيمة التي جاء بها محمد ﷺ موافقةً للعقل الصريح والفطرة السليمة.
4. اجتهاده ﷺ وأصحابه في نشر الدعوة، مع ما كان عليه ﷺ من الخُلق العظيم
5. المعجزات التي أيّد الله بها نبيه ﷺ، وفي مقدّمتها القرآن الكريم.
6. خصائص الدعوة الإسلامية وما امتازت به من الشمول والعموم والوسطية والربانية.

كل ذلك وغيره كان من أسباب النصر والتمكين للدعوة في العهد النبوي، مع ما وصلت إليه حالة العالم من التدهور والانحطاط الذي مهد للبديل المناسب. [50]

المبحث الثاني: عوائق في طريق التمكين:

تمهيد:

قبل الحديث عن منطلقات التمكين ومعالمه، لابُدّ من الحديث عن واقع الأمة المسلمة

وتشخيص الداء ومعرفة أسباب الضعف وتشخيص أمراض الأمة وعللها والتشخيص الجيد هو أول مرحلة في العلاج، ثم البحث بعد ذلك عن أسباب التمكين ومعالمه، ولا شك أن الأمة المسلمة تعيش قروناً من الزمان، تعاني الضعف والتخلف وتفرّق الكلمة، وضعف الحكم، حتى أصبحت أمة الإسلام تعيش في مؤخّرة القافلة، بعد أن كانت هي الرائدة، وأصبحت تتأثّر بعد أن كانت تؤثّر في جميع جوانب الحياة، وإذا كانت الأمة المسلمة تطمح اليوم إلى التقدّم والتمكين والعودة إلى قيادة البشرية والاستخلاف في الأرض، فإن أمامها جملة من العوائق التي لابُدّ من التعرف عليها والعمل على علاجها، سواء منها ما كان نابعاً من داخلها أم ما كان من خارجها، وإن كانت العوائق الداخلية تمثّل أسس المشكلة وبداية المرض، فإن الأمة إذا كانت قوية البنيان المادي والروحي، فلن تستطيع المؤامرات الخارجية أن تنال من جانبها شيئاً، قال سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]،

فمهما عظم كيد الأعداء وتعددت المؤامرات فلن يضرها ذلك شيئاً، طالما اعتصمت بحبل الله المتين وأخذت بأسباب النصر والتمكين، قال سبحانه:" ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

وبناءً على ذلك، يمكن تقسيم تلك العوائق إلى قسمين ضمن مطلبين:

المطلب الأول: العوائق الداخلية

تجمعت عوامل وأسباب داخل المجتمع المسلم على مستوى الفرد والجماعة، وعلى مستوى الحكومات والشعوب، أدت إلى تخلف الأمة وتأخرها عن ركب الحضارة وأدت إلى إعاقتها عن الانطلاق إلى الأمام، وقياده الأمم والشعوب واستعادة مكانتها الحضارية، ويمكن إجمال تلك العوائق والأسباب الداخلية في ما يأتي:

1. الانحراف في مفهوم الايمان:

فالإيمان الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة: هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، قال سبحانه وتعالى:" ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]، وقال سبحانه:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، وقال جل وعلا:﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ

شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 14]، قال صلى الله عليه وسلم: " الإيمان بضع وستون شعبه والحياء شعبة من الإيمان "[51].

فهذه النصوص وغيرها الكثير تدل على أن الإيمان قول وعمل، وأن ذهاب أحد هذه الجوانب يؤدي إلى بطلان الإيمان وعدم صحته.[52]

ومع كثرة الأدلة وتأكيد هذه الحقيقة، فقد غاب هذا المعنى عند كثير من أبناء المسلمين، وتسرب الإرجاء إلى عقولهم على حين غفله، فحصر الايمان بمجرد تصديق القلب، وحصل من جراء ذلك ضعف كبير في أعمال القلوب التي هي أصل في صلاح الجوارح، كما قال صلى الله عليه وسلم:" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[53]، كما ضعفت الثقة بالله تعالى والرضا بشرعه والانقياد لأمره، وقبول ما جاء من عنده حتى غلبت المادية على كثير منهم، فركنوا إلى الأسباب واعتمدوا عليها، وضعفت الصلة بالله تعالى والركون إلية، وانطلق المسلم في الحياه دون تقيد بحدود الشرع ومراعاة الاخلاق والفضائل، وغاب المفهوم الصحيح لعقيده القضاء والقدر السمع والطاعة لأمر الله تعالى، التي هي من اخص صفات المؤمنين:﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: 51]، فحصل الانفصام بين ادعاء الإيمان وتحقيق متطلباته.[54]

2. ضعف مفهوم العبادة:

وذلك نتيجة للسبب الأول فإذا غاب المفهوم الصحيح للإيمان فلابُدّ أن يتبعه حتما غياب المفهوم الصحيح للعبادة والعمل الصالح وهذا ما يؤكد لنا اقتران الإيمان بالعمل الصالح في آيات القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: 107]، وقوله سبحانه:﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3]، وأمثالها كثير في القرآن، وحين وقع الانحراف في هذا الجانب حصر العمل الصالح في مجرد الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والذكر والدعاء، فغاب المفهوم الشامل للعبادة الذي يشمل العقيدة والشريعة والدين والدنيا والآخرة ونظام الحياة، "ومما يؤكد خطأ هذا المفهوم الضيق للعبادة، أن الشعائر التعبدية ذاتها لا يمكن أن تقام إلا بتحقق أوجه النشاط البشري المتعددة من صناعة وزراعة وتجارة وبحث علمي.. إلخ، وما دام هذا النشاط سبيلاً لتحقيق واجب فهو أيضاً واجب، تطبيقاً للقاعدة المشهورة (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، إذًا فالمسلم في أي مجال كان، هو عابد لله رب العالمين، في حقله، أو متجره، أو مصنعه، أو مختبره.. أو غير ذلك، وعمله هذا عمل صالح يتقرّب به إلى الله، إذا تحقّق فيه شرط النية الصالحة، بالإخلاص لله والإتقان التام.

وقد ترتّب على هذا الخطأ في مفهوم العبادة والعمل الصالح، أن أصبح الدين – في نظر الكثيرين – محصوراً في المساجد والزوايا، لا

يتعدّاها قيد أنملة، وأصبح (المتدّين) هو ذلك الشخص الذي لا يفارق (السجادة والمسبحة) أي أصبح الدين شيئاً والدنيا شيئاً آخر، ووجد انفصامٌ تامٌ بين سلوك الفرد داخل المسجد وخارجه، وهذا بلا ريب من أقوى وأهم أسباب ضعف الأمة الإسلامية " [55].

3. الانغماس في الشهوات وحظوظ النفس:

مع ما ورد في الإسلام من إباحة التمتع بالطيبات، والتحذير من الرهبانية، أو الانقطاع للعبادة وترك العمل والسعي وعمارة الأرض، كما في قوله سبحانه:﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32]، إلا أن الإسلام حذّر من التمادي في الشهوات إلى الحد الذي يصبح فيه المسلم عبداً لهواه وشهوته، لا يبالي في سبيل تحصيل حظوظها بإهدار الكرامات وإضاعة الحقوق والوقوع فيما حرم الله – عزّ وجلّ –، حتى يصبح المسلم عبداً لهواه، لا سيداً لنفسه التي تُعد أكبر أعدائه، قبل الشياطين والجن والإنس، ولعلّ هذا المرض هو الذي أفسد أمة اليهود وأحلّ عليها غضبُ الله ومقته.

4. الوقوع في حمأة الشبهات:

ومما زاد في ضعف الأمة وأوقعها في الفرقة والتمزّق وحال دون اجتماعها وتقدّمها؛ انتشار كثير من الشبهات والمفاهيم الخاطئة في كثيرٍ من جوانب العقيدة والشريعة، ما أدى إلى تفرق الأمة وتمزّقها، وحال دون الفهم الصحيح لهذا الدين، بل أدّى إلى قبول كثير من الأفكار الوافدة في نظام الحكم والاقتصاد والاجتماع ونحوه، وقد بدأ ذلك مبكّراً في حياة الأمة الإسلامية، منذ أدارت ظهرها لشرع الله – عزّ وجلّ – ويممت شطر الحضارة الأوروبية دون تمحيص وانتقاء.[56]

5. إبعاد المنهج الإسلامي عن الحياة:

فبعد أن كان الإسلام هو الحاكم في جميع جوانب الحياة، وحقّق المسلمون في ظله نصراً عظيماً وأقاموا حضارةً إنسانيةً في جانبيها المادي والمعنوي، انحسر الإسلام عن الواقع، وفقد المسلمون موقعهم من القيادة والتأثير، وصاروا في مؤخرة القافلة تأثراً بالدعوات العلمانية الغربية، أن الدين هو السبب في التخلّف، وتلك تجربة أوروبية مع تعاليم الكنيسة المحرّفة، والتي مثّلت طغياناً في جميع جوانب الحياة، وكانت وباءً ودماراً على المجتمع الأوروبي، حيث فُرضت قيوداً هائلةً على التفكير العقلي والبحث العلمي، فكان من الطبيعي أن تصطدم مع مقتضيات العقل السليم والتقدّم العلمي، مما دعا الأوروبيين إلى محاربته ونبذه وحصره أخيراً في الكنيسة بعد ثورات عديدة وتضحيات، فسرت تلك العدوى إلى بلاد الإسلام على غير بصيرة بحقيقة الإسلام، وسلامته من التحريف وشموله لكل جوانب الحياة وتأييده للعلم والتفكير، ورفعة العلماء في كل مجالات الحياة وجمعه بين سعادة الدنيا والآخرة.

ولكن " تحت وطأة الانبهار بمنجزات الثورة العلمية الحديثة، سرت في الأوساط الإسلامية – بمساعدة الغرب وتشجيعه – الأصوات والدعوات

المنادية بفصل الدين عن الدولة، وإبعاد الإسلام عن جوانب الحياة المختلفة:

* فلا علاقة للإسلام بنظام الحكم وشئون السياسة، بل لابُدّ من الأخذ بالنمط بكافة حذافيره، دون التفات إلى ما يناسب مجتمعاتنا أو مالا يناسبها.

* ولا دخل للإسلام بالنظام الاقتصادي، فالمسلمون جزءٌ من العالم، تحكمهم القواعد الاقتصادية العالمية، ولا يمكن لهم اعتراض سبيلها، حتى لو خالفت مبادئ دينهم.

* أما الأوضاع الاجتماعية، فلابُدّ من تحطيم القواعد الإسلامية البالية – في نظرهم – وإطلاق العنان لغرائز النفس وشهوات الجسد، دون حسيب أو رقيب، ولابُدّ من تحرير الفرد كافة القيود التي يفرضها الدين، من العفة، والضرورات الأسرية.. وغيرها.

باختصار.. ليس للإسلام من دور في الحياة البشرية، اللهم إلا القليل من الشعائر والطقوس لتحقيق التهذيب الوجداني والسمو الروحاني، هذه هي الفكرة التي يروّج لها أدعياء الثقافة ودهاقين الفكر التقدمي المستنير،[57] الذين صدق فيهم قول المصطفى ﷺ: " لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبّ تبعتموهم، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال.. فمن" ؟ ! [58].

6. السلبية في مواجهة الانحرافات الاجتماعية:

ومع إبعاد المنهج الإسلامي عن الحياة وشيوع الفكر العلماني في واقع المجتمع المسلم، وانتشار المنكرات والمخالفات الفكرية والسلوكية، فقد رافق ذلك السلبية التامة في مواجهة ذلك الانحراف، وأُهملت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على مستوى الفرد والجماعة، وعلى مستوى منكرات الحاكم والمحكوم، رغم كثرة النصوص الشرعية القاضية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهديد الأمة بالشر والهلاك عند تركه، ومن هنا " دبّ الضعف في الأمة الإسلامية، وضاع من بين أقدامها الطريق، حينما أصيبت بهذا الداء الوبيل – داء السلبية –، فأُهملت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستشرى الفساد في أرجائها وعلا صوته، فانعكس الوضع وانقلبت الآية، وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً:

* فالفتاة إذا خرجت من بيتها عفيفة محتشمة، فهي متخلّفة رجعية، أما إذا خرجت سافرةً متبرّجَة فهي متحرّرة تقدّمية.

* والشاب المسلم الملتزم، الذي يحافظ على فرائض دينه، ويحرص على ما ينفع دينه وأسرته ووطنه، شاب متطرّف متزمّت، أما الشاب المخنّث – المتشبه بالنساء – الذي لا همّ له إلا الجري وراء شهواته والاندفاع وراء غرائزه، هو الشاب المتحضر الجدير بالتشجيع والأضواء.

* والحديث عن المؤامرات التي تحاك للأمة وضرورة الإعداد والاستعداد لمكافحتها بكل قوة،

هو حديث أصحاب الفكر التآمري غير الواقعي.. وهكذا دواليك.. " [59].

7. التفرق والخلافات السياسية:

وهو نتيجة حتمية لعزل الإسلام عن الحياة والسكوت عن المنكرات وتحكم الأهواء البشرية المتعددة، فتمزق المسلمون إلى شيع وأحزاب ودول وجماعات، بعد أن كانوا أمةً واحدةً في ظل النظام الإسلامي الذي يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

" ومنذ هذا الحدث المشئوم – سقوط الخلافة الإسلامية – والمسلمون يعيشون في إطار وحدات سياسية ذات حدود مصطنعة وحواجز مفتعلة، ويغلب على كل دولة طابعها القومي العرقي، دون التفات إلى الرباط الجامع بينهم، والراية التي ينضوي الجميع تحت لوائها، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.. ومما يثير في النفس الأسى والحسرة، أن الاستعمار اللعين قد نجح أيما نجاح في إبقاء فتيل النزاعات والصراعات بين الدول الإسلامية قابلاً للاشتعال في أية لحظة، من خلال الصراعات الحدودية، التي بلغت من الكثرة حداً لا يتصور، فلا يكاد يوجد بلدان مسلمان متجاوران إلا وبينهما خلافات حدودية، تنشب بسببها نزاعات بين الفينة والأخرى " [60].

8. غياب الدور التربوي والتكافل الاجتماعي وفساد وسائل الإعلام:

غاب الدور التربوي للفرد على مستوى الأسرة والمسجد والمدرسة، نظراً للأسباب السابقة فغلب على الناس الفكر المادي، بل تسرّب إلى المجتمع الأفكار الإلحادية والإباحية، ونشأ جيلٌ خاوٍ من الجوانب الروحية والاستقامة السلوكية، منهمك في الملذات والشهوات، لاهثاً وراء المتاع الدنيوي والجسدي، فشاع الترف وعمّت القسوة والأنانية والحرص والطمع، وغاب التكافل الاجتماعي، ووقفت الطائفة المترفة في وجه الحق ودعاة التغيير، خوفاً على ضياع ما هم فيه من الترف والفساد والبغي الذي يحاربه الإسلام، كما قال سبحانه:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: 34].

وتسبّب الترف " في وجود ممارسات مرَضَية متضخمة، تسحق كل إحساس أخلاقي في النفوس وتنكر القيم الغيبية، وتكفر بلقاء الآخرة، ولا تقيس الأمور كلها إلا بمقياس الطعام والشراب، وترى أن الخسارة في الالتزام بنداء يخرج من دائرة العلاقات المنفعية المباشرة.

كما تسبّب الترف في اختلال الموازين والمقاييس في الأمة، فتكون منازل الأفراد وقيمتهم بقدر ما يملكون من أدوات الترف وما يحصلون من أسبابه وألوانه، كما أن من شأن الترف كذلك أن يُحدث انقساماً هائلاً في صفوف المجتمع، بين طبقة مترفة: غايتها الدنيا، لا الآخرة، وتتعالى وتتباهى بالمادة والمال، لا بالقيم والإيمان، وطبقة

أخرى من المحرومين: تنظر إلى الفئة الأولى نظرة منكسرة وحاسدة، وتقتل نفسها حسرة على ما فاتها، وتتطلع بشغف بالغ إلى تحصيل هذه الزينة وهذا الترف، مهما كانت الوسائل.

وفي هذا الجو المتخم بتفاخر المترفين وحسد المحرومين، تتبعثر القيم، وتتبخترالمبادئ، وتشيع الأنانية ويتوه من بين أقدام الأمة الطريق" [61].

كما هو واضح من إيراد القرآن الكريم لقصة قارون وموقف طلاب الدنيا وأهل العلم، وهذا هو واقع الشعوب الإسلامية اليوم بين شعوب وأفراد في غاية الترف والفساد وأخرى في غاية الفقر والجوع والمجاعة.

ومما زاد الطين بلة والمرض علة، الدور المشبوه الذي تقوم به وسائل الإعلام في تعميق البُعد عن شرع الله – عزّ وجلّ –، بل ومحاربة الإسلام، عقيدة وشريعةً وسلوكاً، ولمز العاملين به، والداعين إليه، بكل مقالة سوء تنفر عنهم وعما يدعون إليه، بل وتشيع في الأمة ثقافة الإلحاد والإباحية والإقبال على الدنيا والتنكّر للآخرة، ومما يثير الحسرة والألم.. ومسايرة العصر، وبنظرة سريعة إلى أغلب وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بل وما تبثه الشبكة العنكبوتية بجوانبها المختلفة، يدرك مدى الانحطاط والفساد والمؤامرة التي يديرها القائمون على وسائل الإعلام.

هذه هي أهم أسباب ضعف الأمة وهناك أسباب أخرى تأتي بعدها في المرتبة من الجهل وتقليد وخيانات وسلبية وغيرها تعيشها أمة الإسلام، وتعوق حركتها وتقدمها وتقيدها، بل وتكبل حركتها وتفكيرها للتقدّم نحو الأمام.

المطلب الثاني: العوائق الخارجية

من خلال تتبع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والسنن الإلهية والتاريخ ودراسة الواقع؛ فإن ذلك كله يكشف لنا عن مدى الكيد والمؤامرة والحرب التي يشنها أعداء الإسلام على هذه الأمة، كقوله سبحانه:﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217]، وقوله سبحانه:﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120]، وقوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله "[62]، وذلك هو ما تقتضيه سنة الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة [63]، وما يشهد به التاريخ منذ فجر الإسلام وإلى اليوم، فكم قامت بين الحق والباطل من حروب مدمرة ومعارك شرسة وغزوات وحملات دمار واستعمار، والواقع اليوم يشهد بعظمة المكر والكيد الذي يتخذ صوراً وأشكالاً وأساليبَ متنوعةً في حرب الإسلام وأهله، سواء على المستوى الفكري والثقافي أم على المستوى العسكري، ويتضح ذلك من خلال النقاط الآتية:

1. الطعن في الإسلام والتشكيك في المسلّمات:

وقد حاولوا ذلك منذ فجر الإسلام في عهد النبوة، حيث وجه ذلك إلى شخص نبينا الكريم

محمد ﷺ، بدعوى أن ما جاء به ليس من عند الله، بل هو سحر وكهانة وكذب، وتعاليم تلقاها من العجم وأهل الكتاب [64]، ولا يزال هذا الأسلوب مستمراً إلى اليوم

بل ظهر ذلك بشكل أوسع، وطريقة منظمة، بواسطة الدارسات الاستشراقية الهادفة إلى الطعن في الإسلام والتشكيك في مبادئه، تحت شعارات باسم البحث العلمي، ومن الأمثلة على ذلك: قول (جولدتسهير):" إن محمداً نفسه لم يأتِ بهذا الدين، لا مِن عِند الله ولا مِن عِند نفسِه. لقد نقل أغلب أصوله وفروعه من الرومان والفرس والهنود، واستطاع أن يمزج هذه النقول المجلوبة بنفسه ومشاعره، وأن يقتنع بأنه صاحب رسالة لإصلاح العرب الوثنيين، ثم مضى في طريقه حتى بلغ ما بلغ " [65].

ويفصح (جون تاكلي) عن أسلوب المستشرقين وأهدافهم، حين يقول: " يجب أن نستخدم كتابهم، أي القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، لنقضي عليه تماماً. يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً " [66].

2. السعي لتفريق كلمة المسلمين:

وهي مؤامرة قديمة منذ فجر الإسلام حين سعى اليهود للتفريق بين الأوس والخزرج في المدينة وإثارة النعرات والقوميات والثارات بين المسلمين، حتى تأثّر بذلك عدد من المسلمين، وأصبحوا ينادون بتلك القوميات والنعرات، حتى قال بعضهم:" لا ينهض العرب حتى تصبح القومية العربية ديناً يغارون عليه، كما يغار المسلمون على القرآن الكريم "، وقال آخر، وهو يحارب الاجتماع على أساس الإسلام:" إن الرابطة الدينية قد عجزت دائماً عن إيجاد الوحدة السياسية "[67].

3. المؤامرات العسكرية والحملات الصليبية:

لم تتوقف المؤامرات العسكرية على الإسلام، إلى يومنا هذا، منذ أن وصل محمد ﷺ إلى المدينة، حيث بدأت الأحلاف والحملات المتكرّرة للهجوم على المدينة ومحاولة القضاء على الإسلام والمسلمين، سواءً على مستوى المشركين أم اليهود أم النصارى، يقول الدكتور محمد السيد:" يعتبر – في نظرنا – السبب الحقيقي للحروب الصليبية، هو حقد الصليبين على الإسلام وأهله، فقد انتزع من أيديهم أرضاً كانت تحت سلطتهم، وحرّر منهم عبيداً كانوا تحت وطأتهم واستلب منهم مُلكاً كان في قبضتهم، فغلت مراجل الحقد في صدورهم، وتأجّجت نار العداوة في قلوبهم، وأخذوا يتحيّنون الفرص ليستردوا ما فقدوا وينتقموا لأنفسهم ممن نكبوهم ومزقوا ملكهم " [68].

وسواءً في ذلك الحملات الصليبية في القرنين الخامس والسادس الهجري، أم الحملات الصليبية في العصر الحديث في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وما تلاها من احتلال للعالم الإسلامي، بقصد السيطرة عليه ونهب خيراته وتمزيق كلمة المسلمين.

4. السعي لإسقاط الخلافة الإسلامية:

تكاتفت قوى الشر الثلاثة (اليهودية – الصليبية – الشيوعية) وأفلحت في إسقاط الخلافة الإسلامية، هذا السقوط الذي كان له أسوأ الآثار وأوخم العواقب على أمة الإسلام؛ حيث أصبحت دولاً كثيرة متشعبة، بعد أن كانت دولةً واحدةً، تحت قيادة خليفةٍ واحدٍ، كما اقتطعت الدُرّة الثمينة الغالية (فلسطين)، وقدّمت لقمةٌ سائغةٌ لليهود الملاعين، وأصبح المسلمون في أنحاء العالم كالأيتام على موائد اللئام، لا وزن لهم ولا تأثير، ويراق الدم المسلم جهاراً نهاراً دون حسيب أو رقيب [69].

5. زرع الكيان الصهيوني في قلب الأمة المسلمة:

تكاتف الصليبيون والشيوعيون لتحقيق الحلم الصهيوني القديم بتكوين دولة لهم في فلسطين:

* ففي الجانب الصليبي، كانت إنجلترا هي الدولة العظمى التي احتضنت المشروع الصهيوني وتبنّته رسمياً، ففي اليوم الثاني من نوفمبر سنة 1917م أرسل وزير الخارجية البريطانية اللورد (آرثر جيمس بلفور) رسالةً إلى البارون (روتشيلد) زعيم الجالية اليهودية في بريطانيا، جاء فيها: " عزيزي اللورد روتشيلد، يسرّني جداً أن أبعث إليكم باسم حكومة جلالة الملك بالتصريح التالي، وهو يتضمّن العطف على الأماني الصهيونية، وقد رُفع إلى هيئة الوزارة ووافقت عليها: إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وسوف تبذل أقصى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية [70].

وفي زيارة قام بها (ونستون تشرشل) إلى فلسطين سنة 1921م – وكان يشغل وقتها منصب وزير الحرب والطيران – قابله وفد من المسلمين، وطلبوا منه استخدام نفوذه لوقف سيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فأجاب قائلاً: " أنتم تطلبون مني أن أتخلى عن وعد بلفور، وأن أوقف الهجرة اليهودية، وهذا ليس في طاقتي، كما أنني لا أرغب فيه.. نحن نعتقد أنه (أي وعد بلفور) لخير العالم واليهود والإمبراطورية البريطانية والعرب أنفسهم أيضاً.. ونحن ننوي أن نحقق هذا الوعد..". ثم يفصح تشرشل عن مكنونات نفسه بعد لقائه مع (برنارد باروخ) إذ قال: " أنا صهيوني، وقد عملت من أجل تقدم الصهيونية " [71].

المبحث الثالث: منطلقات في طريق التمكين

بعد الوقوف على تلك المعوقات وأسباب ضعف الأمة، يأتي الحديث عن بعض المعالم والمنطلقات، وسبل التغلب على أسباب الضعف وتجاوز هذه المرحلة السيئة في حياة الأمة والنهوض بها إلى الأمام، وإزالة اليأس والقنوط، وبث روح التفاؤل والتمكين، وما من شك أن ذلك يبدأ بالاقتداء برسول الأمة محمد ﷺ الهادي والبشير، عملاً بقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، ويمكن إجمال تلك المنطلقات في المطالب الآتية:

المطلب الأول: العناية بالفرد المسلم:

لأن الفرد هو اللبنة الأولى لبناء الأسرة، وبالتالي بناء المجتمع، وأساس بناء الفرد هو الإيمان بالله – عزّ وجلّ – وسلامة المعتقد، ذلك الأساس الذي يحيل الفرد إنساناً آخر يختلف عن غيره من الناس، مراقباً لله تعالى في سره وعلانية، منقاداً لشرع الله تعالى، راضياً بقضائه وقدره، موقناً بأن الحياة والموت والرزق بيده، غايته الوصول إلى رضوان الله وجنته ونصرة دينه وإعلاء كلمته، معمور القلب بالثقة بالله تعالى والتوكل عليه، ولعل مواقف المسلمين السابقين في الشجاعة والتعبد وطلب العلم والإنفاق والصبر تفسّر لنا شيئاً من عناية الإسلام ببناء الفرد[72].

المطلب الثاني: بناء الأسرة:

فهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع وبصلاحها أو فسادها صلاح المجتمع أو فساده، وهذا ما يفسّر لنا عناية القرآن الكريم بالأحكام المتعلّقة بالأسرة، والعناية ببنائها بحسن اختيار الزوجين فهما أساس الأسرة، وتشريع الأحكام التي تتضمّن صلاح الأسرة ودوامها من أحكام الخطبة والصداق والحقوق الزوجية وعلاج النشوز الحاصل من الزوجين أو أحدهما، وتشريع الأحكام المناسبة عند استحالة الحياة بين الزوجين، مع بيان ما يجب نحو الأولاد من العناية والتربية منذ اللحظة الأولى من تربيتهم على الفضائل وتحذيرهم من الرذائل.[73]

المطلب الثالث: بناء المجتمع المسلم:

وهو ثمرة للعناية ببناء الفرد والأسرة، حيث يوجد المجتمع المسلم من تلقاء نفسه، حيث يتكوّن ذلك المجتمع من الأفراد والأسرة الصالحة والتي تشكّل بدورها المجتمع المسلم، وتدفع العناصر الخبيثة بعيداً، ويشمل ذلك صلاح المجتمع المسلم في كافة جوانبه العقدية والتعبدية والأخلاقية، بل صلاح الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وقيام أمر المجتمع والأمة على أساس الشورى والعدل ومحاربة البطالة، وقيام المعاملات على أساس الصدق والأمانة، وزوال الربا والقمار وكافة صور أكل المال بدون حق، كما يزول الغش والاحتكار والفوارق الطبقية، ويعم الجانب الاجتماعي الأخوة والمحبة والتعاون والتناصح، وتسخير الطاقات لصالح المجتمع في جميع المجالات العلمية والتربوية والسياسية والعسكرية والإعلامية والإدارية.

المطلب الرابع: الإيجابية في حياة الأمة المسلمة:

ونعني بالإيجابية هنا أن تحقق الأمة المسلمة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع ولاءها لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن تتمثّل الإسلام واقعاً عملياً وليس مجرّد شعارات نظرية وتمثيل ذلك.

1. تحديد الهوية والانتماء:

وذلك بتحقيق الانتماء للإسلام وتعاليمه السمحة فهو محور حياتها، وروح وجودها، ومصدر عزتها وكرامتها، وتمكينها، وتحذر من قبول الأفكار الهدامة والنعرات الجاهلية والروابط القومية والوطنية والعنصرية، فالأمة المسلمة أمة واحدة من المحيط إلى المحيط مهما اختلف اللون أو اللغة ومهما تباعدت الأقطار، فلا تفصل بين

المسلمين البحار ولا الجبال ولا الصحراوات، ولا يمنع التمسك بالإسلام أي مبدأ مهما عظم، فالخير في منهج الله وشرعه وخير الهدى هدى محمد ﷺ.

2. تحديد المرجعية العليا:

وهو فرع من تحديد الهوية والانتماء ومترتّب عليه، فلابُدّ من مرجعية عليا لحياة الأمة بمختلف جوانبها العقدية والتشريعية والثقافية والاجتماعية، التي يصدر الناس منها ويرجعون عند التنازع والاختلاف إليها، ولا مرجعية عليا للأمة المسلمة سوى الإسلام، ولا مرد لها، عند التنازع والاختلاف، سوى القرآن والسنة، كما سار عليه السابقون من المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم الدين، بعيداً عن انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

3. ضرورة التجديد والاجتهاد:

تجب على الأمة المسلمة أن ترفض الجمود والتقليد، وأن تؤمن بالاجتهاد والتجديد وسيلة ضرورية لفهم مقاصد الإسلام ونصوصه، وتنزيلها على وقائع الحياة، مراعيةً ما قرره علماؤها من تغيّر الفتوى بتغيّر الزمان والمكان والعُرف والحال، ولا توجد أمةٌ حثّ دينها على الاجتهاد مثل هذه الأمة، حتى إن المجتهد فيها ليؤجَر على خطئه في اجتهاده، فهو ليس مجرّد معذور، بل هو عند الله مأجور، وإنما أجره لتحريه واستفراغه الوسع في طلب الصواب، وإن كان أجره دون أجر من أصاب الحق،[74] كما يقول النبي ﷺ: « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد »[75]. هذا بشرط أن يكون الاجتهاد صادراً من أهله في محله ولا غرو أن تنوّعت المشارب، وتعدّدت المذاهب، واختلفت المدارس، وتعايشت جنباً إلى جنب في ظل رحابة الإسلام وسماحته.

والتجديد المقصود ينصرف إلى الأمور الدينية البحتة وإلى الأمور الدنيوية الحياتية:

ففي الناحية الأولى: يشير المصطفى ﷺ إلى شرعية التجديد في الدين بقوله: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها »[76]، وليس معنى التجديد: إظهار (طبعات جديدة) من الإسلام في كل قرن أو عصر، تتغير بتغير الناس وتتلون بتلون الحياة، فالحق أن الإسلام، بأصوله الثابتة وأحكامه القطعية، يحكم الحياة ويصبغها بصبغة الله، فهو الحاكم لا المحكوم، وهو الميزان لا الموزون، وإنما التجديد هنا: تجديد الفهم للدين، وتجديد للإيمان به، وتجديد للعلم به والعمل له.

وليس هذا التجديد عملاً يقوم به فرد واحد، يترقب الناس ظهوره في نهاية كل قرن – كما قد يفهم من الحديث الشريف، إذ إن كلمة (مَن) تصلح للجميع، كما تصلح للفرد، وعلى هذا فالأولى في فهم الحديث النبوي أن يكون التجديد جماعياً، بمعنى أن ألا يقتصر دور الفرد على مجرّد انتظار المجدّد، بل لابُدّ من المشاركة بدوره ونصيبه في حركة التجديد، من خلال العمل الجاد بالإسلام وللإسلام.

وفي الناحية الثانية: يتبيّن أن التجديد إذا كان مطلوباً في أمر الدين – والأصل فيه الاتباع

–، فهو أكثر طلباً ولزوماً في أمور الدنيا وشؤون الحياة – والأصل فيها الابتداع –، فلابُدّ من تهيئة المناخ العقلي والنفسي والاجتماعي للإبداع والابتكار، وتنمية المواهب والقدرات الخاصة، وتشجيع العقول المبدعة، وتكريم النبوغ والتفوق، واستعادة العقول المهاجرة إلى ميدانها الطبيعي، في رحاب أمتها، فهي أولى بهم وهم أولى بها..

كل هذا مطلوب من الأمة الإسلامية بشدة، حتى ليعتبره الإسلام من فروض الكفاية، التي لابُدّ أن يقوم بها البعض ليسقط الإثم عن الباقين، وإلا أثم الجميع بتركها.[77]

4. تجسيد الإسلام واقعاً عمليا:

ينبغي على الأمة أن تجسّد إسلامها – الذي تفاخر به وتعتزّ – في أخلاق وأعمال. ولا يبقى مجرد شعارات ترفع، أو دعاوى تُدعى، أو أقوال تُقال.. " فإنما الإيمان ما وقر القلب وصدّقه العمل "[78] كما قال الرسول ﷺ وأهم ما يجب أن تحرص الأمة على التمسّك به وتطبيقه: التجرّد والإخلاص لله، والانتصار على شهوات النفس وعلى نزعات العصبيات العرقية والقبلية، التي حطّمت الصومال تحطيماً شاملاً، وتوشك أن تحطّم أفغانستان وتحرق ثمرة جهادها، وتوشك كذلك أن تمزّق دولاً إسلامية أخرى شرّ مُمزق.

إن تحويل مبادئ الإسلام وتعاليمه السمحة إلى واقع سلوكي تطبيقي، هو الذي أسهم، بصورة فعّالة، في نشر نور الإسلام إلى آفاق الأرض، فما انتشر الإسلام إلا بأخلاق المسلمين، وأغلب البلدان الإسلامية لم يدخلها جيش فاتح، بل مسلم تقي صالح.. على أن الجيش قد يفتح أرضاً، ولكنه لا يفتح قلباً، إنما القلوب تفتح بالإقناع والقدوة.[79]

5. الإعداد والأخذ بأسباب القوة:

لكي تصبح الأمة المسلمة ذات نفوذ وتأثير قوي في النظام الدولي؛ لابُدّ أن يتوافر لديها رصيد ضخم من القوة الاقتصادية والعسكرية، إذ إنهما يتكاملان في سياق إبراز مكانة الأمة في النظام الدولي، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى:﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60]، فلقد جاء هذا التكليف الإلهي موجّهاً إلى الأمة جمعاء «وأعدوا»، ليكون كُلّ فردٍ آخذاً بنصيبه من هذا الأمر الإلهي، كل فيما يخصه وفي مجاله وفي حدود أقصى استطاعته.. بهدف تحقيق القوة في جميع المجالات: السياسية والاقتصادية، والعسكرية، ولهذا جاء لفظ « قوة »، مُنكراً ليفيد العموم.. ثم كان تخصيص القوة العسكرية بالذكر لبيان مدى أهميتها الفائقة في الوصول إلى الهدف المنشود، بأن تكون الأمة المسلمة مرهوبة الجانب من قِبل أعداء الدين وأعدائها ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ..﴾ [الأنفال: 60].

وحينما تصبح الأمُة قويةً مرهوبة الجانب، فإنها حينئذ تصبح قوةً عظمى، لها تأثيرها القوي ونفوذها المباشر في النظام الدولي.

6. تحقيق النهضة العلمية الشاملة:

لا يمكن للأمة المسلمة أن تحقّق النمو الاقتصادي والعسكري، بدون وجود قاعدة علمية متينة، فبالنهضة العلمية تمكّنت كلٌّ من اليابان وألمانيا من النهوض مرة أخرى بعد الدمار الشامل الذي أصاب كلتيهما في الحرب العالمية الثانية، وأصبحا في سنوات قلائل من القوى العظمى في المجال الاقتصادي العالمي، ومن خلال هذا التفريق الاقتصادي، القائم على أسس علمية سليمة، استطاعت ألمانيا – مثلاً – أن تستعيد وحدة أراضيها في بداية التسعينيات.

ومن هنا، ينبغي على الأمة الإسلامية أن تستغل الإمكانات المتاحة لديها، لتحقيق نهضة علمية شاملة، تكون أساساً قوياً للنهضة الاقتصادية والعسكرية المنشودة، بغية الوصول – في نهاية المطاف – إلى المكانة القيادية في النظام الدولي.[80]

النتائج والتوصيات

نتائج البحث:

1. أن التمكين أمر ضروري بالنسبة للأمة المسلمة، تقتضيه طبيعة الإسلام ومقاصده الشاملة، وبدونه لا تتحقّق الغاية من رسالة الإسلام وبعثة محمد ﷺ بل لا تتحقّق الغاية من الخلق.

2. ما يلحق البشرية، وفي مقدّمتهم المسلمون، من الانحطاط والضياع العقدي والسلوكي بسبب التمكين لغير المسلمين، وحجم الخسارة العظمى التي تلحق بني الإنسان بسبب تخلف المسلمين.

3. التمكين ليس له صورة واحدة، بل هناك صور متعددة للتمكين، بحسب الزمان والمكان والحال.

4. هدف التمكين للأمة المسلمة، إقامة دين الله في الأرض، وإسعاد البشرية في الدارين، وإزالة عوامل الشقاء.

5. أن التمكين للأمة المسلمة يتحقّق في حال أخذت الأمة بأسبابه الحسية والمعنوية.

6. بدء الإعداد المادي والمعنوي والتخلص التدريجي من العوائق، هو الطريق للتمكين، على أن يكون الإسلام هو المصدر والمرجع.

التوصيات:

1. وجود دراسات تفصيلية لكلِّ جانبٍ من جوانب التمكين، يقوم بها كبار الباحثين والمراكز في العالم الإسلامي.

2. عقد مؤتمراتٍ إسلاميةٍ ودوليةٍ، لبحث العوائق والمنطلقات في طريق التمكين للأمة المسلمة.

3. التواصل مع العقلاء والمفكرين الغربيين والإفادة منهم، وكسب ثقتهم والاستفادة من ذلك في تحقيق التمكين للمسلمين.

الهوامش:

(1) ينظر: مختار الصحاح – أبي محمد الرازي، ص 630، لسان العرب – ابن منظور (414/13).

(2) السيرة النبوية – د/ مصطفى السباعي ص109، 110.
(3) ينظر: الحاكم والتحاكم في خطاب الوحي (457/1).
(4) تفسير ابن كثير، ص 1100.
(5) فتح القدير – للشوكاني (308/3).
(6) تفسير السعدي، ص 435.
(7) تفسير ابن كثير، ص 931.
(8) فتح القدير – للشوكاني (35/3).
(9) تفسير ابن كثير، ص 1361.
(10) فتح القدير – للشوكاني (159/4).
(11) تفسير السعدي، ص 561.
(12) رواه البخاري رقم (3612).
(13) الجامع لأحكام القرآن – لأبي عبد الله القرطبي (299/12) بتصرف.
(14) المصطلحات الأربعة في القرآن – أبو الأعلى المودودي ص97.
(15) العبادة في الإسلام – يوسف القرضاوي ص31، وينظر: مدارج السالكين – ابن القيم (74/1).
(16) في ظلال القرآن (3602/6).
(17) تفسير المنار (128/3).
(18) مسلم (2030/4) رقم (2637).
(19) انظر: محاسن التأويل (221/7).
(20) البخاري (88/8) رقم 6986.
(21) البخاري (89/8) رقم 699.
(22) مسلم (166/2642).
(23) تفسير القرآن العظيم (329/1).
(24) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (47/5).
(25) تفسير ابن كثير (382/4).
(26) ينظر: قادة الغرب يقولون – جلال العالم، ص 63.
(27) ينظر: قادة الغرب يقولون – جلال العالم، ص 25.
(28) ينظر: وجوب لزوم الجماعة – د/ جمال بادي، ص 135.
(29) ينظر: مقالات الإسلاميين – للأشعري (86/1).
(30) ينظر: فقه التمكين – د/ علي الصلابي، ص 265.
(31) ينظر: التخطيط والرقابة – د/ عبد الفتاح دياب، ص 97.
(32) ينظر: التخطيط والرقابة، ص 97.
(33) ينظر: صناعة الحياة – محمد أحمد الراشد، ص 46، مجلة البيان عدد 118، ص 9، فقه التمكين – د/ علي الصلابي، ص 282.
(34) ينظر: فقه الدعوة – فاروق الصاوي، ص 20، والأسلوب الإعلامي – محمد الطلابي، ص 17، مذكرات في الدعوة – عبد الغفور عزيز، ص 5.
(35) ينظر: فقه التمكين، ص 425.
(36) ينظر: فقه التمكين، ص 469.
(37) رواه الدار قطني رقم (395)، والبيهقي (6/ 205).
(38) رواه مسلم رقم (2889).
(39) رواه ابن حبان في صحيحه (1631).
(40) ينظر: السنن الإلهية – د/ شريف الشيخ صالح الخطيب (480/2).
(41) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته – سيد قطب ص6.
(42) التربية والمجتمع – د/ بشير حاج التوم ص7.
(43) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – د/ خالد السبت، ص 49.
(44) ينظر: رجال الفكر والدعوة – أبو الحسن الندوي (60/2).
(45) ينظر: منهج التربية الإسلامية – محمد قطب (23/1).
(46) السنن الالهية د/ شريف الخطيب (118/2).
(47) تفسير ابن كثير (83/4).
(48) السنن الألهية – د/ شريف الخطيب، ص (120-119/2).
(49) ينظر: قصة الحضارة – ول ديورانت (1/ 492).

(50) ينظر: أسباب نجاح الدعوة في العهد النبوي – عبد الله بن محمد آل موسى ص97 وما بعدها.
(51) رواه البخاري رقم (9).
(52) ينظر: نواقض الايمان الاعتقادية – د/ محمد الوهيب، ص 38.
(53) رواه البخاري رقم (25)، ومسلم رقم (1599).
(54) ينظر: تعظيم قدر الصلاة – محمد بن نصر (695/2) وما بعدها.
(55) النظام الدولي الجديد، ص 680.
(56) ينظر: ماذا خسر العالم، ص 129 وما بعدها.
(57) ينظر: النظام الدولي الجديد، ص 683.
(58) البخاري (7320)، ومسلم (2054/4)، (2669/6).
(59) النظام الدولي الجديد، ص 690.
(60) المرجع السابق، ص 694.
(61) النظام الدولي الجديد، ص 696.
(62) رواه البخاري رقم (7311)، ومسلم رقم (1920).
(63) ينظر: السنن الإلهية – د/ زيدان، ص 43 وما بعدها، السنن الالهية – الخطيب (2/ 308).
(64) ينظر: الرحيق المختوم، ص 83، السيرة لابن هشام (523/2).
(65) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ص20.
(66) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص40.
(67) ينظر: النظام الدولي الجديد، ص 704، ومجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه د/ عبد الله سليمان المشوخي، ص 282.
(68) أسباب الضعف في الأمة الإسلامية، ص 139.
(69) النظام الدولي الجديد، ص 705.
(70) ينظر: القضية الفلسطينية – أكرم زعيتر، ص 45.
(71) ينظر: أحجار على رقعة الشطرنج، ص 223، نقلا عن: النظام الدولي الجديد، ص 709، 710.
(72) ينظر: البداية والنهاية (112/3).
(73) ينظر: أصول التربية الإسلامية – عبد الرحمن النحلاوي، ص 135 وما بعدها. وموسوعة تربية الأولاد د/مصطفى متولي (16/1)
(74) النظام الدولي الجديد ص794.
(75) رواه مسلم رقم (1056)
(76) الدار قطني (211/4)، ودلائل النبوة للبيهقي (185/7).
(77) النظام الدولي الجديد، ص 749 – 750.
(78) ينظر: الكامل في الضعفاء – لابن عدي (2290/6).
(79) النظام الدولي الجديد، ص 749 – 751.
(80) النظام الدولي الجديد، ص 752.

المراجع:

1. أحجار على رقعة الشطرنج – وليام غاي كاي – دار النفائس – بيروت – ط2– 1976م.
2. أسباب الضعف في الأمة الإسلامية – د/ محمد السيد الوكيل – دار الأرقم – الزقازيق – ط1 – 1409هـ – 1989م.
3. أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي – عالم الكتب – الرياض – ط1 – 1405هـ – 1985م.
4. الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم – محمد الطلابي – مكتبة البلاغ – جدة – ط1 – 1412هـ – 1991م.
5. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع – عبد الرحمن النحلاوي

– دار الفكـــــــــــر – ط1 – 1399هـ – 1979م.
6. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – خالد السبت – المنتدى الإسلامي – لندن – ط1 – 1415هـ – 1995م.
7. البداية والنهاية– للحافظ ابن كثير –مكتبة المعارف– بيروت– بد (ط، ت).
8. التبشير والاستعمار في البلاد العربية – د/ مصطفى خالدي، د/ عمر فروخ – المكتبة العصرية – بيروت – ط4 – 1390هـ – 1970م.
9. التخطيط والرقابة نجاح الإدارة – د/ عبد الفتاح دياب حسن – سلسلة مطبوعات المجموعة الاستشارية العربية – ط2.
10. تربية الأولاد في الإسلام – د/ أحمد مصطفى متولي – دار ابن الجوزي – القاهرة – ط1 – 1426هـ – 2005م.
11. التربية والمجتمع – د/ بشير حاج التوم – سلسلة بحوث المؤتمر العالمي للتعليم الإسلامي – مكة المكرمة – ط1 – 1403هـ – 1983م.
12. تعظيم قدر الصلاة – الإمام محمد بن نصر المروزي – مكتبة العلم – القاهرة – ط1 – 1421هـ – 2000م.
13. تفسير القرآن العظيم – الإمام: أبي الداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي – دار الفكر بيروت – 1401هـ – 1981م.
14. تفسير المنار – الشيخ محمد رشيد رضا – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط1 – 1423هـ – 2002م.
15. تهذيب مدارج السالكين – الإمام ابن القيم – عبد المنعم صالح العلي العزي – دار المطبوعات الحديثة – جدة – بدون (ط، ت).
16. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – العلامة: عبد الرحمن السعدي – دار السلام – الرياض – بدون (ط–ت).
17. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – لابي عبد الله محمد القرطبي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط1 –1416هـ – 1995م.
18. الحكم والتحاكم في خطاب الوحي – د. عبد العزيز مصطفى كامل – دار طيبة – الرياض – ط1 – 1415هـ – 1995م.
19. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته – سيد قطب – دار الشروق – ط7 – 1400هـ – 1980م.
20. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين – الشيخ/ محمد الغزالي – دار الكتب الإسلامية.
21. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة – الإمام أحمد بن حسين البيهقي – بدون (ط، ت).

22.رجال الفكر والدعوة للإمام السرهندي – أبو الحسن الندوي – دار القلم – الكويت – ط1 – 1403هـ – 1983م.
23.الرحيق المختوم – صفي الرحمن المبارك فوري –دار المؤيد – 1416هـ – 1996م بد (ط).
24.سنن ابن حبان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط2 – 1414هـ – 1993م.
25.السنن الإلهية – د/ عبد الكريم زيدان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط1 – 1413هـ – 1993م.
26.السنن الالهية في الحياة الانسانية – د. شريف الشيخ صالح احمد الخطيب – مكتبة الرشد – الرياض – ط1 – 1425هـ – 2004م.
27.سنن الدار قطني – شيخ الإسلام علي بن عمر الدار قطني – دار المحاسن – القاهرة – 1386هـ – 1966م.
28.السنن الكبرى – الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي – دار الكتب العلمية – بيروت – 1420هـ – 1999م.
29.السيرة النبوية دروس وعبر – د/ مصطفى السباعي – المكتب الإسلامي – ط8 – 1405هـ.
30.صحيح الإمام البخاري، مع الفتح لابن حجر –دار الفكر – بيروت – ط1 – 1411هـ – 1990م.
31.صحيح الإمام مسلم بشرح النووي –دار الخير – دمشق – ط1 – 1414هـ – 1994م.
32.صناعة الحياة – محمد أحمد الراشد – دار المنطلق – دار المجتمع السعودية – ط2 – 1412هـ 1992م.
33.العبادة في الإسلام – د/ يوسف القرضاوي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط12 – 1405هـ – 1985م.
34.فتح القدير – الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير –العلامة: محمد بن علي الشوكاني – دار المعرفة – بيروت – بدون (ط–ت).
35.فقه التمكين في القرآن الكريم – د/ على محمد الصلابي – دار الوفاء – المنصورة – ط1 – 1421هـ – 2001م.
36.فقه الدعوة الإسلامية والإعلام عند المودودي – فاروق عبد الغني الصاروي – دار المنار الحديثة – مصر – ط1 – 1413هـ – 1992م.
37.في ظلال القرآن– سيد قطب –دار الشروق – القاهرة – ط27– 1419هـ – 1998م.
38.قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله – جلال العالم – مؤسسة الرسالة – بيروت – 1405هـ – 1985م.
39.قصة الحضارات – ملخص –ول ديورانت– مؤسسة الرسالة – بيروت –ط1 – 1423هـ – 2002م.

40.القضية الفلسطينية – أكرم زعيتر – دار المعارف – القاهرة – 1955م.
41.الكامل في ضعفاء الرجال – الإمام ابي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني – دار الفكر – بيروت – ط3 – 1409هـ – 1988م.
42.لسان العرب للإمام ابن منظور– دار إحياء التراث – بيروت –ط3 – 1413 هـ – 1993م.
43.ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – أبو الحسن الندوي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط6 – 1385هـ – 1965م.
44.مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه – د/ عبد الله سليمان المشوخي – مكتبة المنار – الأردن ط1 – 1407هـ 1987م.
45.مجلة البيان عدد 118.
46.محاسن التأويل – محمد جمال القاسمي – دار الفكر – بيروت – ط2 – 1978م.
47.مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر الرازي – دار الفكر – بيروت – 1401هـ–1981م – بد(ط).
48.مذكرات في الدعوة الإسلامية – عبد الغفار محمد عزيز – دار المعارف – السعودية للطباعة والنشر – بدون (ط،ت).
49. المصطلحات الأربعة في القرآن – أبو الأعلى المودودي – تعريب: محمد كاظم – دار القلم – الكويت – ط6 – 1397هـ.
50. منهج التربية الإسلامية – محمد قطب – دار الشروق –ط16– بد(ت).
51.النظام الدولي الجديد – ياسر أبو شبانة – دار السلام –القاهرة– ط3، 1424هـ – 2004م.
52. نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التفكير عند السلف – د/ محمد بن عبد الله بن علي الوهيبي – دار المسلم – الرياض – ط2 – 1442هـ – 2001م.
53. وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق – جمال الدين بن أحمد بن بشير بادى – دار الوطن – الرياض – ط1 – 1412هـ.